قبر فلان عند تفاخرهم. والمعنى: ألهاكم ذلك وهو مما لا يعنيكم ولا يجدي عليكم في دنياكم وآخرتكم عما يعنيكم من أمر الدين الذي هو أهم وأعني من كل مهم، أو أراد ألهاكم التكاثر بالأموال والأولاد إلى أن متم وقبرتم منفقين أعماركم في طلب الدنيا والاستباق إليها والتهالك عليها، إلى أن أتاكم الموت لا هم لكم غيرها عما هو أولى بكم من السعي لعاقبتكم والعمل لآخرتكم. وزيارة القبور عبارة عن الموت قال:

لن يخلص العام خليل عشرا ذاق الضماد أو يزور القبر

وقال:

زار القبور أبو مالك فأصبح الأمر زوارها

وقرأ ابن عباس: ألهاكم، على الاستفهام الذي معناه التقرير.

كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾.

﴿كلا﴾ ردع وتنبيه على أنه لا ينبغي للناظر لنفسه أن تكون الدنيا جميع همه ولا يهتم بدينه. ﴿سوف تعلمون﴾ إنذار ليخافوا فينتبهوا عن غفلتهم. والتكرير تأكيد للردع والإنذار عليهم.

ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾.

و ﴿ثم﴾ دلالة على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأوّل وأشدّ كما تقول للمنصوح: أقول لك ثم أقول لك لا تفعل. والمعنى: سوف تعلمون الخطأ فيما أنتم عليه إذا عاينتم ما قدّامكم من هول لقاء الله، وإنّ هذا التنبيه نصيحة لكم ورحمة عليكم.

كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾.

ثم كرّر التنبيه أيضًا وقال: ﴿لو تعلمون﴾، محذوف الجواب، يعني: لو تعلمون ما بين أيديكم علم الأمر اليقين أي: كعلمكم ما تستيقنونه من الأمور التي وكلتم بعلمها همتكم لفعلتم ما لا يوصف، ولا يكتنه ولكنكم ضلال جهلة، ثم قال:

لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾.

﴿لترونّ الجحيم﴾ فبين لهم ما أنذرهم منه وأوعدهم به. وقد مرّ ما في إيضاح الشيء بعد إبهامه من تفخيمه وتعظيمه في التهديد وزيادةً في التهويل. وقرئ*: لترؤن بالهمز وهي مستكرهة.

فإن قُلْتَ: لم استكرهت والواو المضمومة قبلها همزة قياس مطرد! **قُلْتُ:** ذاك في الواو التي ضمتها لازمة وهذه عارضة لالتقاء الساكنين.

ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾.

وقرئ*: لترون ولترونها على البناء للمفعول. ﴿عين اليقين﴾ أي: الرؤية التي هي نفس اليقين وخالصته ويجوز أن يراد بالرؤية العلم والإبصار.

ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾.

﴿عن النعيم﴾ عن اللهو والتنعم الذي شغلكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه.

فإن قُلْتَ: ما النعيم الذي يسئل عنه الإنسان ويعاتب عليه فما من أحد إلا وله نعيم؟ **قُلْتُ:** هو نعيم من عكف همته على استيفاء اللذات ولم يعش إلا ليأكل الطيب ويلبس اللين ويقطع أوقاته باللهو والطرب، لا يعبأ بالعلم والعمل ولا يحمل نفسه مشاقهما. فأما من تمتع بنعمة الله وارزاقه التي لم يخلقها إلا لعباده وتقوى بها على دراسة العلم والقيام بالعمل وكان ناهضًا بالشكر فهو من ذاك بمعزل، وإليه أشار رسول الله ﷺ فيما يروى أنه أكل هو وأصحابه تمرًا وشربوا عليه ماءً فقال: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين»[1]. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ الهاكم التكاثر لم يحاسبه الله بالنعيم الذي أنعم به عليه في دار الدنيا وأعطى من الأجر كأنما قرأ ألف آية»[2].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة العصر مكية

وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾.

أقسم بصلاة العصر لفضلها بدليل قوله تعالى: ﴿والصلاة الوسطى﴾[3] صلاة العصر في مصحف حفصة. وقوله عليه الصلاة والسلام: «مَن فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله»[4]. ولأنّ التكليف في أدائها

(1) أخرجه ابن حبان في كتاب: الزكاة، باب: المسألة والأخذ وما يتعلق به من المكافأة، (الحديث رقم: 3411) والنسائي في كتاب: الوصايا، باب: قضاء الدين قبل الميراث، (الحديث رقم: 3640) أخرجه أبو داود في كتاب: الأطعمة، باب: ما يقول الرجل إذا طعم (الحديث رقم: 3850) وأخرجه الترمذي في السنن، كتاب: الدعوات، باب: ما يقول إذا فرغ من الطعام، (الحديث رقم: 3457).

(2) ذكره الثعلبي وابن مردويه والواحدي في تفاسيرهم، زيلعي: 4/ 278.

(3) سورة البقرة، الآية: 238.

(4) أخرجه أحمد في المسند 2/54، 134 ـ 145. وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه 1/342.

أشق لتهافت الناس في تجاراتهم ومكاسبهم آخر النهار واشتغالهم بمعايشهم، أو أقسم بالعشي كما أقسم بالضحى لما فيهما جميعًا من دلائل القدرة، أو أقسم بالزمان لما في مروره من أصناف العجائب.

إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾.

والإنسان للجنس. والخسر الخسران. كما قيل: الكفر في الكفران، والمعنى: أن الناس في خسران من تجاراتهم إلا الصالحين وحدهم لأنهم اشتروا الآخرة بالدنيا فربحوا وسعدوا، ومن عداهم تجروا خلاف تجارتهم فوقعوا في الخسارة والشقاوة.

إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾.

﴿وتواصوا بالحق﴾ بالأمر الثابت الذي لا يسوغ إنكاره وهو الخير كله من توحيد الله وطاعته واتباع كتبه ورسله والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة. **﴿وتواصوا بالصبر﴾** عن المعاصي وعلى الطاعات وعلى ما يبلو الله به عباده، عن رسول الله ﷺ: «مَن قرأ سورة والعصر غفر الله له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر»[1].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الهمزة مكية

الهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن. يقال: لمزه ولهزه، طعنه، والمراد الكسر من أعراض الناس والغض منهم، واغتيابهم والطعن فيهم. وبناء فعله يدل على أنّ ذلك عادة منه قد ضرى بها. ونحوهما: اللعنة والضحكة. قال:

وإن أغيب فأنت الهامز اللمزة

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾.

وقرئ: ويل للهمزة اللمزة[2]. وقرئ: ويل لكل همزة لمزة، بسكون الميم وهو المسخرة الذي يأتي بالأوابد والأضاحيك فيضحك منه ويشتم. وقيل: نزلت في الأخنس بن شريق وكانت عادته الغيبة والوقيعة، وقيل: في أمية بن خلف. وقيل: في الوليد بن المغيرة واغتيابه لرسول الله ﷺ وغضه منه، ويجوز أن يكون السبب خاصًا والوعيد عامًا ليتناول كل من باشر ذلك القبيح وليكون جاريًا مجرى التعريض بالوارد فيه، فإنّ ذلك أزجر له وأنكى فيه.

ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾.

﴿الذي﴾ بدل من كل أو نصب على الذم. وقرئ: جمع بالتشديد وهو مطابق لعدده، وقيل: عدّده جعله عدة لحوادث الدهر. وقرئ: وعدده، أي: جمع المال وضبط عدده وأحصاه، أو جمع ماله وقومه الذين ينصرونه. من قولك: فلان وعدد وعدد، إذا كان له عدد وافر من الأنصار وما يصلحهم، وقيل: وعدده معناه وعده على فك الإدغام نحو ضننوا.

يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾.

﴿أخلده﴾ وخلده بمعنى: أي طول المال أمله ومناه الأماني البعيدة حتى أصبح لفرط غفلته وطول أمله يحسب أنّ المال تركه خالدًا في الدنيا لا يموت، أو يعمل من تشييد البنيان الموثق بالصخر والآجر وغرس الأشجار وعمارة الأرض عمل من يظنّ أن ماله أبقاه حيًا، أو هو تعريض بالعمل الصالح وأنه هو الذي أخلد صاحبه في النعيم، فأما المال فما أخلد أحدًا فيه. وروي أنه كان للأخنس أربعة آلاف دينار. وقيل: عشرة آلاف، وعن الحسن أنه عاد موسرًا فقال: ما تقول في الوف لم أفتدِ بها من لئيم، ولا تفضلت على كريم، قال: ولكن لماذا؟ قال: لنبوة الزمان، وجفوة السلطان، ونوائب الدهر، ومخافة الفقر. قال: إذن تدعه لمن لا يحمدك وترد على من لا يعذرك.

كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾.

﴿كلا﴾ ردع له عن حسبانه. وقرئ: لينبذان، أي هو وماله. ولينبذن بضم الذال أي: هو وأنصاره. ولينبذنه **﴿في الحطمة﴾** في النار التي من شأنها أن تحطم كل ما يلقى فيها. ويقال للرجل الأكول: إنه لحطمة.

وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾.

وقرئ: **﴿الحاطمة﴾** يعني: أنها تدخل في أجوافهم حتى تصل إلى صدورهم وتطلع على أفئدتهم وهي أوساط القلوب ولا شيء في بدن الإنسان ألطف من الفؤاد ولا أشد تألمًا منه بأدنى أذىً يمسه، فكيف إذا اطلعت عليه.

نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾.

---

(1) ذكره الثعلبي وابن مردويه والواحدي في تفاسيرهم، زيلعي 4/ 281.

(2) قال أحمد: وما أحسن مقابلة الهمزة اللمزة بالحطمة، فإنه لما وسمه بهذه السمة بصيغة أرشدت إلى أنها راسخة فيه ومتمكنة منه، أتبع المبالغة بوعيده بالنار التي سماها بالحطمة، لما يلقى = فيها وسلك في تعيينها صيغة مبالغة على وزن الصيغة التي ضمنها الذنب، حتى يحصل التعادل بين الذنب والجزاء، فهذا الذي ضرى بالذنب جزاؤه هذه الحطمة التي هي ضاربة بحطم كل ما يلقى إليها.